

2. أرسل الله رجلا

سؤال للتفكير: شاركوا مع بعضكم البعض حادثة تناول طعامٍ ذي طعم كريه أو غريب أو مقرف.

سافرت برًّا في سنة 1976 في رحلة استكشاف روحية إلى آسيا عبر أوروبا على متن ما كان يُعرف بالباص السحري الذي كان ينطلق من لندن وصولاً إلى الهند (اكتسب اسمه من عنوان البوم "الغناء المباشر من ليدز" لفريق الروك **Who**). وعندما وصلنا إلى أفغانستان (حدث ذلك قبل الإضطرابات الحالية في ذلك الجزء من العالم) توجَّهنا إلى مطعمٍ حيث جلسنا متربِّعين أمام طاولة على سجادة فاخرة تمامًا كما يفعل الأفغان. نظرت إلى لائحة الطعام ورأيت لعجبي اسم أشهى طعامٍ قد رأيته خلال سفرتي - عصيدة الشوفان! لكن دعني أذكرك قبل أن تتهمني بأني بريطاني عديم الذوق بأنه مر عليّ وقت خلال تلك الرحلة لم أذق فيها كل الأطعمة البريطانية الشهية. وكنت حينها في السادسة والعشرين من عمري وكان الطعام الآسيوي غريبًا على براعم الذوق لدي. وحين قُدِّم لي طبق العصيدة رححت أكل منه بنهم، لكن حين وصلت إلى منتصفه لاحظت أنّ ما ظننته قطع شوفان كانت ديدانا. وأدركت حينها أنه من الأفضل أن أكل الطعام الآسيوي من أن أكل طعامًا كان معروضًا لأشهر أو حتى سنين. واليوم سنقرأ عن رجل غريب الطباع كان يعيش في البرية (لوقا 1:80)، وكان يأكل طعامًا غريبًا عنا جميعًا. فكان غذاؤه مكونًا من الجراد والعسل البري. ولم يكن يأكل طعامًا غريبًا فقط بل كان مظهره غريبًا حيث كان يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه (مرقس 1:6). لكن قال يسوع عن هذا الرجل يوحنا المعمدان:

"الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي

مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ." (متى 11:11)

ما الأمر المميّز في يوحنا المعمدان الذي جعل يسوع يملي عليه هذا الثناء العالي ويدعوه أعظم رجل عاش على هذه الأرض (ما عدا المسيح)؟ هل نسي موسى وإبراهيم ودانيال وإرميا؟ نقرأ في الكتاب المقدس: **«إِنَّ يُوْحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ يُوْحَنَّا عَنْ هَذَا كَانَ حَقًّا».** (يوحنا 10:41). هل انتبهت لذلك؟ لم يفعل يوحنا آية واحدة، لكن يسوع قال إنه لم يقم من بين النساء أعظم منه. لم يكن موهوبًا من

ناحية اجتراح المعجزات لكن يمكننا ان نتعلم من شخصيته. دعونا نقرأ المقطع من إنجيل يوحنا لنلقي نظرة أعمق عن ذلك الرجل الذي أَرْضَى اللهُ كثيرًا:

وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلَا وَيِينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَأَعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: «إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ». فَسَأَلُوهُ: «إِذَا مَاذَا؟ إِبِلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». «أَلَنْبِي أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لَا». فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَن نَفْسِكَ؟» قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ». وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ، فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا بِالْكَ تَعْمِدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلَا إِبِلِيَّا، وَلَا النَّبِيَّ؟» أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلًا: «أَنَا أَعْمِدُ بِمَاءٍ، وَلَكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُبُورَ حِذَائِهِ». هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةٍ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعْمِدُ. وَفِي الْعَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لِإِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أَعْمِدُ بِالْمَاءِ». وَشَهِدَ يُوحَنَّا قَائِلًا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمِدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقَرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْمِدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ». (يوحنا 1: 19-34)

فن صناعة رجل ذي شخصية مميزة

يذكر يوحنا البشير كاتب الإنجيل شهادة مهمة عن يوحنا المعمدان ليبرهن عن فكرته الرئيسية التي تمر خلال كل الكتاب أنّ يسوع هو المسيح ابن الله الحي. ويُقدّم لنا يوحنا المعمدان في بداية إنجيل يوحنا والعدد 6 ك: " إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. " عندما يريد الله أن يبدأ عملا جديداً يحدث نفضة فإنه يهيء ويرسل رجلاً (أو امرأة) ذا شخصية ورعة. وكلّما كبر العمل، كلّما ازدادت الحاجة لتهيئة الإنسان الذي يختاره الله

من الداخل. وأظنّ أنّ أ.و. توزر هو القائل: "لا يستطيع الله أن يستخدم إنساناً بقوة قبل أن يدعه يتألم كثيراً." وخطّة الله ليس بأن يحصل على أساليب أفضل بل على أناس أفضل. وأعتقد أنّ كثيرين يُرسلون إلى حقل الخدمة قبل بكثير من أن يرسلهم الله. والأجدى بالكنيسة أن تهيّء وتجهّز خدام الله قبل أن تتسرّع بإرسالهم إلى الخدمة. وقد حدّر بولس الرسول تيموثاوس عن هذا الأمر كاتباً: **"لَا تَضَعْ يَدًا عَلَى أَحَدٍ بِالْعَجَلَةِ"** (1 تيموثاوس 5:22). فالتقوى الإلهية يجب أن تُوجد في قلب القائد قبل أن يُرسل إلى تكميم مهمة رائدة. وقد قال د. ليلويد جونز مرّة: "الأسوأ ما يمكن أن يحدث لإمرء هو أن ينجح قبل أن يكون متهيّئاً." فدعونا نلقي نظرة على المميّزات الرئيسية للشخصية القيادية في كنيسة الله ومن ثم نفحص ما نجد منها في يوحنا المعمدان.

ماذا نعني بكلمة شخصية وما هو خطر إرسال رجل أو امرأة لإتمام عمل ما قبل أن تُشكّل شخصياتهما من قبل الله؟

إنّ كلمة *character* أي شخصية في اللغة الإنكليزية مشتقة من كلمة *charasso* اليونانية. وفي كتابه الرائع "كيفية صنع قائد" يفسر لنا فرانك ديمازيو هذه الكلمة قائلاً:
"إنّها تعني علامة مميّزة أو وسمة أو شحذ أو نحت أو كتابة على حجر أو خشب أو حديد. وأخذت الكلمة معنى صك العملة النقدية. ومن هنا أصبحت تعني الختم المنحوت على العملة النقدية، أو كتابة منقوشة. وقد استُخدمت هذه الكلمة مرّة واحدة في العهد الجديد في عبرانيين 1:3 حيث يشير الكاتب إلى أنّ المسيح هو شخصية الله ذاته، أي ختم طبيعة الله والذي ختم الله فيه أو طبع ما هو عليه. وهكذا فإننا نشقّ كلمة *character* الإنكليزية لتعني علامة مميّزة منقوشة أو مكوّنة للشخص من قبل قوّة داخلية أو خارجية"¹

وإن نقبل الأمر أو نرفضه فإنّ القادة هم مثال. وإن كنت قائداً فإنّ أحدهم يتعلّم ليس فقط ممّا تفعله لكن بالأكثر ممّا تقوله. ولا أحد هو جزيرة بحدّ ذاته؛ إذ جميعنا نؤثّر بأحدهم إن كان سلباً أم إيجاباً. ونحن مسؤولون عن الأثر الذي نتركه في حياة الآخرين. والله يرى كل شيء ويعلم كل شيء. **"وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قَدَامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنِي ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا."** (عبرانيين 4:13). وهو

¹ Frank Demazio, The Making of a Leader. Bible Temple Publishing, Portland, Oregon. Page 107

سيكافئنا على مقدار كم هي شخصية المسيح مطبوعة في حياتنا وحياة الآخرين الذين نؤثر عليهم في هذا العالم.

والشخصية هي ليست ما ستكونه في المستقبل، بل ما أنت عليه الآن. وهذا يشمل قلبك وعقلك ودوافعك. فالحياة هي مسلسل من الإمتحانات التي أعدها الله مسبقاً وحتى أنه يعمل عليها في الحاضر. فيصممها لكي تجعل منك الشخص الذي يريد الله منك أن تصبح عليه. وردة الفعل الصائبة لتلك الإمتحانات تبني شخصياتنا. وقد قال مرّة المبشّر الشهير د.ل.مودي: "إن كنت أهتم في شخصيتي، يكون صيتي على أفضل ما يكون." والإنسان الذي يعمل على أن يصبح رجل عظيم لله عليه أن يتنبّه لكل ما يدخل عقله وقلبه. قال يسوع: "... فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ." (لوقا 6:45). وخدمتك هي التدفق لما في داخلك الذي يعبر على علاقتك مع الله. اعمل على حياتك الشخصية مع الله وسيكون ثمر حياتك وافراً، فأنت منتج لمجموع أفكارك وعقلك وإرادتك وقلبك. "فَوْقَ كُلِّ تَحْفَظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لِأَنَّ مِنْهُ مَخْرَجَ الْحَيَاةِ." (أمثال 4:23).

كيف تمت تهيئة يوحنا المعمدان قبل أن يُرسل من قبل الله؟

لا نعلم متى تم ذلك بالتحديد، لكننا نُخَبِّرُ عن يوحنا المعمدان التالي:

"أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِيِّ إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ." (لوقا 1:80).

لا يُخبرنا الكتاب المقدس عن أية تدريبات في علم اللاهوت أُخضع لها في معاهد تلك الأيام. لكن يمكن أن يكون ذلك قد حدث إذ كان ابن كاهن، وكان أبواه زكريا واليصابات من نسل هارون (لوقا 1:5). ونعلم أنه في مرحلة ما انتقل للعيش في البرية على الأرجح في بداية شبابه عند وفاة والديه العجوزين. لماذا دُعي رجل الله هذا للعيش في البرية تحضيراً للخدمة. ماذا يمكن لرجل أن يتعلّم في البرية ما لا يمكن تعلمه في المدينة؟

إن أعظم ما يحتاجه رجال ونساء اليوم هو الإستماع لصوت الله، وهو ليس بالأمر السهل في خضمّ حياتنا الصاخبة والمليئة بالعمل والموجهة نحو الأهداف والنجاح. لكن الله ليس بصامت، بل تكمن المشكلة في مقدرونا على تخفيض سرعة حياتنا المائجة والإستماع. قال أيوب: "لَكِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِاثْنَتَيْنِ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانَ." (أيوب 33:14). وقد تعلّم يوحنا المعمدان التأقلم مع حياة الصحراء أو برية يهوذا

والقوت من محصول الأرض بينما يستمع لصوت الله. واللافت للنظر أنّ يسوع وموسى ويشوع ويعقوب أمضوا وقتاً مطوّلاً في الصحراء أو البرية المقفرة. وأخبرنا بولس الرسول أنّه بعدما التقى بالمسيح ذهب إلى صحراء العربية (غلاطية 1:17). وعندما خرج المليوناً إسرائيلياً من أرض مصر أرسلهم الله إلى الصحراء ليعلّمهم أنّ الإنسان لا يحيا بالخبز وحده بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يَذَلِّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَلْتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لَا؟ فَأَذَلُّكَ وَأَجَاعُكَ وَأَطْعَمُكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلَا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الْإِنْسَانُ. ثِيَابُكَ لَمْ تَبَلْ عَلَيْكَ، وَرِجْلُكَ لَمْ تَتَوَرَّمْ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً. (تثنية 8:2-4)

كيف يكون شعورك بأن تكون في بركة قفراء؟

لقد سكنت في أرض فلسطين لعدّة أشهر في سبعينيات القرن الماضي. ومكثت مرّة في مدينة بئر سبع التي تحاذي صحراء النجف أسبوعاً كاملاً. وفي صبيحة أحد الأيام، خرجت إلى الصحراء لأختبر زيارتها وتعمّدت ألا أذهب بعيداً لأنني لن أستطيع معرفة طريق العودة. ما راغني هو السكون والوحدة. لم تهب الرياح ورأيت عصفوراً وحيداً والطبيعة كانت عارية تماماً. فتجد نفسك وحيداً لا يمكنك التكلّم سوى مع الله. واللافت للنظر أنّ الكلمة العربية *midbar* والتي تُرجمت إلى الإنكليزية *desert* مشتقة من أصل الكلمة "يتكلّم" والتي هي *medibear* في اللغة العبرية. لا يوجد في الصحراء سوى الله وصوته الذي يحاول إيقافنا ولفتنا انتباهنا. وهو يسمح بأن نمرّ وسط ظروف في حياتنا تدلّنا وتمتحننا فنشعر حينها بأن كل ما نقوم به عقيم وغير منتج. لماذا؟ ليلفت انتباهنا! فالله ليس بحاجة أن يعلم ماذا في قلبك؛ فهو أصلاً يعرف كل شيء عنا. بينما نحن بحاجة أن نعرف ماذا في قلوبنا ونلتفت إليه ونتعلّم أن نتكل على إمكانياته هو. حين نرى قلوبنا كما يراها الله يمكننا أن نتغيّر.

تدفق قلب يوحنا المعمدان

حوالي سن الثلاثين ووفقاً لبرنامج الله، بدأ يوحنا المعمدان خدمته بدعوته الناس للتوبة. لا أعلم كيف تم ذلك، لكن الله بدأ بإرسال جماعات من الناس إلى الصحراء للإستماع ليوحنا المعمدان بينما كان يتكلّم عن معمودية التوبة. وبدأت خدمته في بركة اليهودية:

قَائِلًا: «تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ.»

فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قَبِلَ عَنْهُ بِإِسْعَى النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً». (متى 3:2-3).

ويخبرنا لوقا أنّ اليهود كانوا يأتون من أورشليم التي تبعد مسافة 16 ميلاً على أقرب نقطة من نهر الأردن إن كان هذا بالفعل المكان الذي عمّد فيه. ثم يخر لوقا أنّ يوحنا ذهب بعد ذلك إلى كل المنطقة الممتدة من حول الأردن يبشّر بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. ويجد الزائر اليوم هذه المنطقة التي تقع شمالاً حيث وُجدت مخطوطات البحر الميت بَرِّيَّة مقفرة على ارتفاع 1300 قدماً تحت سطح البحر وهي أكثر نقطة انخفاضاً في الكرة الأرضية. وهي شديدة الصقوعة في الليل وشديدة الحر في النهار. والله أرسل الناس هناك لكي يعتمدوا على يد يوحنا المعمدان.

يذكر لوقا أنّ جموعاً كانت تأتي لتعتمد (لوقا 3:7). كيف تعامل يوحنا المعمدان مع هذه الشهرة؟ إنّ كلمات الإنسان تكشف عمّا في قلبه، ولا نرى يوحنا مسحوراً بنجاحه مطلقاً. فكان يجيد الإنباه عنه في كل فرصة سنحت. وعندما أرسل اليهود الكهنة واللاويين ليسألوه عمّا إذا كان هو إيليا، أجاب مسرعاً: "لست هو." "أأنت نبي؟" والنبي هو الرجل الذي وعد الله بمجيئه؛ سيكون كموسى (تثنية 18:15) وقد قال الله إنّ سيحاسب كل من لا يسمع لكلامه (تثنية 18:18-19). ويسوع هو النبي المرسل من الله والذي سيقم العهد بين الله والناس. واعترف يوحنا مباشرة بأنّه ليس النبي: **فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَن نَفْسِكَ؟» (يوحنا 1:22).**

ما هو اعترافك بالنسبة لحياتك الروحية لحد الآن؟ من أنت؟ هل مواقفك تعكس ماذا يريدك الله أن تكون؟ ماذا يمكنك القول عن نفسك؟ من أين أتيت، وما هو هدفك؟

لم يدّعي يوحنا أنّه غير صوت صارخ في البرِّيَّة ليعدّ طريق الرب. وقد أخبرنا يسوع في الأناجيل الثلاثة الأخرى أنّ الفريسيين وقادة الشعب لم يصدّقوا أنّ يوحنا أعطيت له السلطة من قبل الله لكي يعمّد (متى 21:26، مرقس 11:31، لوقا 20:5). وقد اعتبر قادة اليهود أنّهم احتكروا السوق الدينية في إسرائيل، وهو بالتأكيد لم يفوضوا يوحنا بأن يقوم بأمر، كتعميد اليهود للتوبة، لم يُسمع به من قبل في إسرائيل. وكان الأمم الوحيدين الذين كانوا يعتمدون في تلك الأيام إن أرادوا أن يتهودوا. ولم يجد قادة الدين والفريسيون أي حاجة لمعمودية يوحنا. أمّا يوحنا فتدّفق من قلبه قوله بأنّه غير مستحق أن يقوم بأكثر الأمور اتضاع وهي حل سيور حذاء المسيح؛ ولم يكن يُتوقع من أيّ تلميذ أن يفعل ذلك لمعلّمه.

هل حالتك الروحية حاليًا كبرية قاحلة وناشفة؟ شاركوا اختباراتكم مع بعضهم البعض. وسنصلي من أجل أحدنا الآخر في نهاية الفصل. لماذا كانت هناك حاجة لمعدّ للطريق للمسيح؟

تنبأ النبي إشعياء خمسمائة سنة قبل ظهور يوحنا المعمدان على المسرح أنّ خدمة المعمدان سوف تكون لإعداد الطريق وتليين قلوب الناس استعدادًا لمجيء المسيح. فكتب قائلاً:

"صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوْمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا لِإِهْنَا. كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيمًا، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلًا. فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ»." (إشعياء 40: 3-5).

وفي كتابه التفسيري يساعدنا ميريل تاناى على فهم ذلك بقوله:

"أُحِذت تلك الصورة من الأيام القديمة حيث لم تكن هناك طرقات معبّدة، بل مجرد طرق ريفية. فإن أراد ملك ما السفر، كان لا بدّ أن تُبنى الطرقات وتمسّد كي تستطيع العربة الملكية المرور بسهولة ولا تقع في الوحول."²

مشى كثيرون منّا طويلاً كما مشى الإسرائيليون في وقت يوحنا المعمدان وسط الصحراء. وخلال مرورنا في هذه الحياة ننتقل من الوديان إلى قمم الجبال؛ نصعد في لحظة ونهبط في لحظة أخرى. آن الأوان لكي تستوي الطريق أمامنا فترتفع الوديان وتنخفض الهضاب. وكانت رسالة يوحنا لكل الناس على حدّ سواء: **"قَائِلًا: «تُوبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ».**" (متى 3: 2). وهذا ما تفعله التوبة بنا؛ كثيرون منّا يحملون أمتعة كثيرة خلال الرحلة وها قد آن الوقت لرميها لأنها تعيق سبيلنا.

ما هي التوبة وما هي قيمتها في الحياة المسيحية؟

التوبة تعني حرفيًا تغيير الفكر مما يؤدي لتغيير المسار. وقد قال سبورجين الواعظ البريطاني الشهير مرّة: "الخطيئة والجحيم متزوّجان إلى أن تعلن التوبة الطلاق. والله ليس بمستعد أن يغفر أيّة خطيئة لا يتوب المرء على تركها." والتوبة تنبش جذور الأشياء التي تقيّدنا بالخطيئة. غالبًا ما يجب أن تترافق التوبة بكرهية مطلقة للأمر التي تسّم أرواحنا وأسلوب تفكيرنا.

² Merrill C. Tenney, John: The Gospel of Belief (Grand Rapids, Mich.: William B. Erdmans Publishing, p.79.)

"لَيْلًا يَكُونُ فِيكُمْ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ أَوْ سِبْطٌ قَلْبُهُ الْيَوْمَ مُنْصَرِفٌ عَنِ الرَّبِّ إِلَيْنَا لَكِي يَذْهَبَ لِيَعْبُدَ آلِهَةَ تِلْكَ الْأُمَّمِ. لَيْلًا يَكُونُ فِيكُمْ أَصْلٌ يُثْمِرُ عَاقِمًا وَأَفْسَنْتِينًا." (تثنية 29:18).

يسعى الشيطان عدونا بأن يكتلنا بخطايانا التي لم نتب عنها ولم نتركها. وأحياناً يتطلب الأمر أن نقوم بما طلب يوحنا المعمدان:

وَكَانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ الَّذِينَ خَرَجُوا لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ: «يَا أَوْلَادَ الْأَفَاعِي، مَنْ أَرَأَيْتُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الْآتِي؟»

فَاصْنَعُوا أَعْمَارًا تَلِيقًا بِالتَّوْبَةِ. وَلَا تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلَادًا لِإِبْرَاهِيمِ.

وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. وَسَأَلَهُ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: «فَمَاذَا نَفْعَلُ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هَكَذَا». وَجَاءَ عَشَارُونَ أَيْضًا لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ: «يَا مَعْلَمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ». (لوقا 3:7-13)

ربما أذيت أحدهم، إذن الأجدد بك أن تطلب الغفران منه. أو ربما عليك أن تعوّض عليه بطريقة أو بأخرى. أذكر أنني كمؤمن حديث لم أستطع أن أشعر بالسلام في قلبي بعدما لاحظت أنني مزقت دون قصد مني شبكة أحد الصيادين. ولم ألاحظ إلا عند بزوغ الفجر. افكرت عندها أنني غير ملام لأن حصل ذلك في الظلام إذ كنت أصطاد في الليل ولم أستطع رؤية الشباك. لكن تفكير الله كان عكس ذلك إذ جعلني أذهب إلى بيت ذلك الصياد وأدفع له ثمن شبكة جديدة! التوبة الحقيقية تنبع من الإرادة وليس فقط من القلب. تبدأ حياتك بالتغير بينما يضع الله اصبعه على نواحٍ في حياتك التي يريدك أن تتعامل معها. نصيحتي لك هي أن تسأل الله عن النواحي التي يريدك أن تعمل عليها، ومن ثم اخلق استراتيجية أو عادة تضع تلك النواحي تحت سيطرة المسيح.

خصائص شخصية يوحنا المعمدان:

1) لم يساوم: لم يسع يوحنا المعمدان لإرضاء الناس! ولم يساوم في إيمانه. فعندما اتخذ الملك هيرودوس زوجة أخيه فيلبس، وبّخه يوحنا قائلاً بأنه لا يجوز له أن يفعل ذلك بالرغم من أنه علم أي نوع من

الرجال كان هيرودوس. وقف يوحنا غير متزعزع في إيمانه ولم يساوم على جوهر إيمانه حتى أمام ملك غاضب قائلاً له إنه لا يحق له أن يتخذ زوجة أخيه. وإيمانه الراض للمساومة كلفه حياته.

(2) أطلق رعيته: عندما أتى البعض يخبرونه بأن تلاميذ يسوع يعمّدون: "فَجَاءُوا إِلَى يُوْحَنَّا وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَبْرِ الْأَرْدُنِّ، الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ، هُوَ يُعَمِّدُ، وَاجْمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ»، (يوحنا 3:26) فرح يوحنا لهذه الأخبار وأجاب قائلاً: "يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَيُّ أَنَا أَنْقُصُ." (يوحنا 3:30). وهذه حقيقة مهمة بالنسبة لنا أيضًا إذ أن المسيح الذي فينا يجب أن يزيد وطرقنا يجب أن تنقص.

(3) شهد عن حمل الله الكفاري: يؤمن اليهود ويعلمون إلى يومنا هذا أنّ النص في إشعياء 53 الذي يتكلم عن الخادم المتألم يشير إلى الأمة اليهودية. لكن يوحنا المعمدان أكد لهم أنّ حمل الله كان في وسطهم وهو الذي يحمل خطايا العالم. عندها كفت الناس عن اتباعه وراحوا وراء المسيح بسبب شهادة يوحنا. إنّ رجل الله الصادق يشير إلى المسيح وليس إلى شخصه.

(4) أظهر تواضعًا: إنّ كلمات الإنسان تشير إلى ما في قلبه. وقد دعى يوحنا نفسه مجرد صوت في البرية؛ خادم لا يستحق أن يحمل سيور سيده، ومكرس للإشارة إلى المسيح ومن ثم الإختفاء. كم علينا أن نتمثل به. ولسنا بحاجة للذهاب إلى البرية لفعل ذلك؛ فلم يدعنا الله إلى هناك بل دعانا لنكون تلاميذ (طلبة) وشهودًا لما فعل معنا.

صلّوا من أجل بعضكم البعض في نهاية هذه الحلقة. وصلّوا بالتحديد للذين شعروا أنّهم في برية ما وهم بحاجة لسماع الله يوجههم بالنسبة لأمر ما. إن كان الله قد تكلم معك عن ناحية ما في حياتك تشعر أنّها ما تزال جذورها عالقة بالخطية، تب وأدر ظهرك للخطية واطلب من الله المعونة.

Pastor Keith Thomas

Website: www.groupbiblestudy.com

Email: keiththomas7@gmail.com

